مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02/ المجلد 12 ع 02
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

أفق الإبداع بين الحرية والضوابط

The horizon of creativity between freedom and controls

بركات رابح * Barkat Rabah barkatrabah@yahoo.fr	فلسفة عامة	جامعة محمد بن أحمد وهران 2 /الجزائر
د. أنور حمادة Dr. Anwar Hamada anwarphilo@gmail.com	فلسفة	جامعة محمد بن أحمد وهران 2 /الجزائر/ مختبر الفلسفة وتاريخها.

DOI: 10.46315/1714-012-002-003.

الإرسال: 2022/09/14 **القبول:** 2023/01/10 **النشر:** 2023/06/16

ملخص:

كلما ارتبط مفهوم الإبداع بمفهومي الحرية والمقدس (ديني أو اجتماعي)، إلا وأثار مجموعة من الإشكالات وصلت في بعض الأحيان إلى حد التناحر، وخاصة حينما يتناول الإبداع القضايا المسكوت عنها، هذه الاشكالات ناتجة في الحقيقة عن عدم الاحاطة بالمعنى الحقيقي لهذه المفاهيم، في ظل علاقة الإبداع بالثقافة والدين والحداثة التي تمثل أهم المحاور التي يتقاطع معها الإبداع ، حيث يعتبر الإبداع أحد طرق الكشف عن الحقيقة - على حد تعبير مارتن هايدغر- في أكمل صورة لها من خلال الاعمال الإبداعية، وكلما خرج عن هذا النطاق باسم الحرية، لا يمكن اعتباره إبداعا من الاساس، ذلك أنه اتخذ المفهوم المطلق للحرية في الإبداع .

كلمات مفتاحية: الإبداع ؛ الحرية ؛ الثقافة؛ الدين؛ الحداثة.

Abstract:

Whenever the concept of creativity is linked to the concepts of freedom and the sacred (religious or social), it raises a set of problems that sometimes reach the point of rivalry, especially when creativity deals with issues that are kept silent. Creativity through culture, religion and modernity, which represent the most important axes with which creativity intersects, where creativity is one of the ways to reveal the truth - in the words of Martin Heidegger - in its fullest form through creative works, and whenever it departs from this scope in the name of freedom, it cannot be considered creativity from the basis, that he took the absolute concept of freedom of creativity.

Keywords: Creativity; Freedom; Culture; Religion; Modernity.

*- مقدمة:

يعتبر الإنسان ذلك البروميثيوس الذي يحاول أن ينافس الله في خلقه، سواءً عن وعي أو عن غير وعي من خلال الإبداع ، فالإبداع يعتبر محاكاة للآلهة في الخلق، حيث يفرض نفسه كحتمية منذ الإنسان الأول، وذلك من أجل التقدم والرقي الحضاري، كما أنه محاولة للوصول

* - الباحث المُرسل: بركات رابح barkatrabah@yahoo.fr

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

للحقيقة في أكمل صورة لها، وفي المقابل حين النظر الى الحقيقة التاريخية للإبداع نجد الكثير من الإشكالات التي طرحت على المستوى الفلسفي، وخاصة حينما نتحدث عن أفق الإبداع وعلاقته بالضوابط والحرية، حيث شكلت هذه المصطلحات (الابداع، الحرية الضوابط أو الحدود)، مجموعة الإشكالات الفلسفية التي أسالت الكثير من الحبر، ومازالت الى حد اليوم، والتي انتهت في الكثير من المرات بمأساة إنسانية، لذلك كانت إشكالية هذه الورقة البحثية، حول أفق الإبداع وعلاقته بالحرية والضوابط، وقبل ذلك كان لابد من التطرق الى المفاهيم المتعددة للإبداع، وتداخله وتقاطعه مع مجموعة من المحاور الكبرى كالثقافة والدين

وللخوض في هذا البحث وضعنا مجموعة من الفرضيات حول:

- الحرية كشرط ملازم للإبداع، حيث لا إبداع إلا بوجود الحرية
- الحرية ليست شرطا للإبداع، حيث يكمن الإبداع في محاولة التحرر

محاولين بذلك الوصول إلى المفهوم الحقيقي لكل من الإبداع والحرية، وعلاقتهما ببعض، والوصول الى ضوابط الإبداع ، في ظل المفاهيم المختلفة للحرية، لذلك اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي، لتحليل مختلف الآراء ومناقشتها، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي للاستدلال ببعض الشواهد التاريخية.

التحليل

1.حول مفهوم الإبداع : تشترك معظم معاجم اللغة العربية حول المعنى اللغوي للإبداع على أنه الإتيان بشيء على مثال غير سابق، فيعرفه ابن منظور في معجمه لسان العرب بقوله:" بدع الشيء يبدعه بدعا وابتداعه: أنشأه وبدأه، وبدع الركية: استنبطها وأحدثها وركي بديع حديثة الحفر، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولا" كما يعرفه جميل صليبا على أنه: "اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع" (صليبا، ج، 1982 31)، ويعرفه لالاند في موسوعته بأنه: "الخلق والإبداع والاختراع، والإنشاء "(لالاند أ، 2001، 235)، أي أن الإبداع من هذا المنطلق له ثلاث معاني، المعنى اللاهوتي المرادف لفعل الخلق الذي تختص به الذات اللاهية كخلق السموات والارض والمعنى التقني والذي يتمثل في الاختراعات العلمية، والمعنى الفني الذي يشمل مختلف الاعمال الفنية كالرسم والشعر والموسيقى.

أما من الناحية الاصطلاحية فللإبداع مجموعة من التعاريف يمكن أن نجملها في تعريفين أساسيين:

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

1_ إعادة تركيب وترتيب مجموعة من العناصر والمدركات كانت موجودة من قبل على نحو جديد لم يكن موجودا من قبل، يأخذ هذا النحو الجديد إما عملا فنيا، أو اختراعا علميا، يقوم بهذا العمل إما شخصا فنان، أو مخترع أو عالم.

2_ الإتيان بشيء لم يكن موجودا من قبل، أي بمعنى الخلق، وهو صفة يختص بها الله وحده، كخلق الانسان والسموات والأرض يقول الله تعالى: "بديع السموات الأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون " (سورة البقرة، الآية رقم 117) حيث أن خلق السموات والأرض لم يكن مسبوقا بأي شيء، فلا هو تركيب ولا تأليف لعناصر كانت موجودة من قبل، بل فعل مسبوق بعدم.

لكن لا يكمن أن نطلق مصطلح الإبداع على أي عمل كان، فالعمل الإبداع ي يمتاز بمجموعة من الخصائص، إن "المعيار الرئيسي لتقويم الإبداع هو أن يكون النتاج فيه جديدا وأصيلا، وذا قيمة للمجتمع في الوقت ذاته "(روشكا، أ، 1998، 27) .

وتمر عملية الإبداع بمجموعة من المراحل المختلفة، أهمها تلك التي ذكرها ولاس عبر أربع مراحل، بدءا بمرحلة الاعداد الذاتي، ثم مرحلة الاحتضان، ثم مرحلة الاشراق وبعد ذلك التحقيق وتجسيد العمل الإبداع ي (الجسماني، ع، سيكولوجية الإبداع في الحياة، 1995، 48).

وقد تناولت مجموعة من النظريات تفسير الإبداع وكيفية حدوثه، انطلاقا من وجهة التحليل النفسي وإرجاع الإبداع الى العامل النفسي للشخص المبدع، ووجهة النظر الاجتماعية والبيئة المحيطة بالشخص المبدع التي تحتم عليه الإبداع ، وكذلك وجهة النظر البيولوجية التي ترجع الإبداع الى الوراثة وغيرها من العوامل البيولوجية وهناك نظريات تفسر الإبداع على أنه حدس مباشر وغيرها من النظريات المفسرة للإبداع .

2.الإبداع والمفاهيم الكبرى

إن الإبداع من أهم المواضيع التي تناولتها الفلسفات، لما له أهمية في مجال دفع عجلة التنمية والتعبير الصريح عن الافكار والمواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، لذلك فإن مصطلح الإبداع يتقاطع في كثير من الاحيان مع مجموعة المفاهيم الكبرى السائدة التي تمثل روح العصر .

1.2 الإبداع والثقافة: إن القول بأن الثقافة هي ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد السائدة في المجتمع _حسب تعريف "إدوارد تايلور" المتعارف عليه _، التي يجب التمسك بها يعتبر شكلا نمطيا لتحديد أفق الإبداع ، فالحرية تعتبر شرطا أساسيا لعملية الإبداع ، حيث

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

هناك اختلاف بين المجتمعات التي تتمسك أكثر بعاداتها وتنغلق على ذاتها والتي يكون فيها الإبداع داخل ذلك النمط فقط، بينما المجتمعات المنفتحة على الثقافات الاخرى يكون فيها الإبداع أكثر تنوعا وانتشارا، لذلك يمكن القول بأن العلاقة بين الإبداع والثقافة من خلال وجهة النظر هاته، تعتبر علاقة تناقض، فكلما كان التمسك اكثر بالثقافة كان الإبداع أقل والعكس صحيح.

وقد أكد **(رنكو، م، 2011، 257)** أن للقيم الثقافية دورا مهما في الإبداع سوآءا كانت هذه الثقافة تعتمد على الفروق الفردية أو الجماعية، حيث يرى "هوفستيد" أن الجماعية تسود في آسيا الشرقية، بسبب انعكاس الكونفوشوسية، التي تركز على الانسجام والتفكير المتمركز حول المجتمع، هذا الانسجام الذي يؤدي بالأفراد بالالتزام بالقوانين السائدة، في حين ان الاستقلال الى السلوك غير التقليدي يقودهم الى الإبداع ، يقول "بيرك: "مما لا شك فيه أن الصينيين في العصور الوسطى كانوا أكثر شعوب الأرض ابتكارا، لكن الحقيقة الآن هي أن تكنولوجيا العالم الحديث ذات المنشأ الغربي بتبين لنا الى أي درجة كانت الثقافة الصينية الغربية مختلفتين في فترة حاسمة من تاريخ آثار الابتكارات على المجتمع، ففي الشرق المتحضر والمستقر، لم يكن يسمح للابتكارات أن تحدث تغيرات اجتماعية جذرية كما هو الحال في الغرب الدينامي المتسارع. وربما كان السبب الرئيس في ذلك هو أثار النسقية المتأنية من البيروقراطية الصينية ....فلم يكن لدى الفرد أي دافع لاستعمال التكنولوجيا في تحسين وضعه والارتقاء في هذا العالم، لأن الارتقاء كان خارج عن نطاق أهدافه .

لذلك يمكن القول إن الإبداع يعتمد أساسا على الحرية داخل المجتمع، وكلما اعتمدت المجتمعات على تشجيع روح الفرد وإعطائه الحرية كان الإبداع أكثر تنوعا سواءً فنيا أو علميا، وكلما كانت ثقافة المجتمعات أكثر انفتاحا على الثقافات المجتمعات، كان الإبداع أكثر تنوعا وفعالية، في حين نجد أن الإبداع في المجتمعات ذات الثقافات المنغلقة على ذاتها أقل تنوعا وانتشارا، يقول ماجياري _ بيك: "الافراد يمكن أن ينجحوا في ممارسة إبداعهم فقط عندما لا تكون هناك عوائق جوهرية في المجتمع تحول بينهم وبين إنجازاتهم لأعمالهم الإبداعية"، وهذا ما يؤكده "كامبل" بقوله: "يبدو أن الأشخاص الذين اقتلعوا من ثقافاتهم التقليدية، أو تعرضوا إلى ثقافتين يمتازون بمدى واسع من الفرضيات التي يطرحونها مما يقود الى زيادة عدد الابتكارات الإبداعية **(رنكو، 2011، 252)**، أما الإبداع في الثقافة العربية فإنه يعاني من مجموعة من الصعوبات _بالإضافة الى الظروف اليومية والاجتماعية _فإن تبعية الثقافة للسياسة والابداع للأيديولوجيا، يحول في كثير من الأحيان بين حركة الإبداع في إحداث النقلة

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

النوعية الاجتماعية المطلوبة (**عرسان، ع، 1992، 66**)، وهو ما يؤكده واقع هجرة الادمغة والمبدعين في كثير من دول الوطن العربي، بسبب عدم وجود الفضاء المناسب للإبداع والحد من أفقه، وفق لما تمليه السياسة أو الايديولوجيا، وهو ما يعتبر قيدا وتحديدا مقيتا لأفق الإبداع ، وبالرغم من ذلك فإن هذا الوضع القائم يمكن أن يعمل دورا عكسيا في عملية الإبداع في وطننا العربي، وخاصة أن الإبداع نوع من التحرر والتمرد على النمط السائد، كما أن الإبداع غالبا ما يكون وليد الأزمة، وإيجاد حلول لها وإعطاء صورة جديدة للواقع بشتى تعبيراته الفنية أو العلمية .

إن العلاقة بين الإبداع والثقافة ليست علاقة تبادلية، وإنما هي علاقة مزج بين المتغيرات التاريخية والمجتمعية والفردية، حيث لا يمكن أن نقارن ثقافة بأخرى فلكل ثقافة أسس تقوم عليها وتختلف من ثقافة الى أخرى، فما هو مقدس في ثقافة ما ليس بالضرورة مقدسا في ثقافة أخرى، ولكن يمكن قياس الإبداع في الثقافات بمدى تشجيع كل ثقافة لروح الإبداع من حرية وتشجيع للأفراد في التعبير وإيجاد الحلول اللازمة، وكذلك يقاس بمدى انفتاح الثقافة على الثقافات الاخرى .

2.2الابداع، والحداثة: إن الحداثة مشروع غير مكتمل على حد تعبير "(عبدالرحمن، ط 2006، 23)، ذلك لعدم اتفاق محدد حول مفهومها، فهناك من يرى بأن الحداثة تنطلق مع بدايات عصر النهضة وحركات الاصلاح الديني، وصولا الى الثورة المعلوماتية، وهناك من يعرفها بأنها مجموعة صفات القوة التي طبعت هذه الحقبة من تحرر وتعقل وعلم وتقنية وغيرها من المصطلحات المتداولة، أو أنها قطع الصلة بالتراث ومحو قدسية العالم وغيرها من التعريفات المتباينة، ورغم كل التعريفات إلا أن الحداثة تقوم على ثلاث مبادئ أساسية، مبدأ الرشد، ومبدأ النقد، ومبدأ الشمول (عبدالرحمن، 2006، 23) .

ويعتبر الإبداع الركن الثاني لمبدأ الرشد، بعد مبدأ الاستقلال، حيث سمحت الحداثة للإنسان أن يبدع ويؤسس لأفكار جديدة، أو يعيد صياغة جديدة لأفكار سابقة، (عبدالرحمن، 2006، 26) أي أن الحداثة سمحت للإنسان بالتحرر من مختلف القيود التي تفرضها ثقافة أو سياسة أو بيئة اجتماعية معينة، وأعطته فسحة من الحرية في الإبداع ، وخاصة أن الحداثة تسعى الى الشمولية والكونية.

يلتقي الإبداع مع الحداثة في أن كلا منهما يعتبر تمردا وانفلاتا على الوضع الراهن، فالإبداع دائما ما يكون وليد أزمة ومحاولة ايجاد الحلول لها. أو يكون تعبيرا فنيا لواقع معين من أجل تحسين صورته أو كشف حقيقته كذلك الحداثة بحسب كل تعريفاتها فإنها تمرد على كل قديم

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

ومحاولة تحسينه، وتحسين جودة الحياة في شتى مجالاتها السياسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية ...

كما يلتقي الإبداع مع الحداثة وما بعدها في فعل التجاوز (تجاوز الواقع المعيش)، حيث أن الحداثة هي تجاوز لكل ما هو قديم ومحاولة أو إعادة صياغته في شكل جديد يتماشى مع متطلبات الحياة المعاصرة، بمختلف مجالاتها، فكذلك الإبداع ، هو في شكل من أشكاله محاولة لتجاوز واقع معين من خلال تعبير فني أو إبداع علمي، فالرسم مثلا ما هو إلا تعبير صريح عن الحقيقة أو كشف لها على حد تعبير "مارتن هيدغر "، في صورة تحاول أن تصل الى درجة كمال تلك الحقيقة.

لذلك يمكن القول إن الإبداع يلتقي مع الحداثة في فعلي التمرد والتجاوز، لكن في حين تبدو غاية الحداثة واضحة من خلال أنها تسعى الى مبدأ الشمولية الذي تضمحل فيه كل الثقافات والسياسيات، نحو ثقافة وسياسة عالمية، فإن للإبداع غايته الأساسية هي كشف الحقيقة والتعبير عنها في أكمل صورة ممكنة

3.2الدين والابداع: إن مفهوم الدين هو تقيد مجموعة من البشر بقيم ومبادئ وعادات توجب الالتزام بها قصد التقرب الى الله، يعرفه جميل صليبا في معجمه: "جملة من الادراكات والاعتقادات والافعال الحاصلة للنفس، من جراء حبها لله، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره." (صليبا، ج 1982، 572)، لذلك فإن هذا المفهوم من زاوية معينة يتعارض مع روح الإبداع ، حيث تعتبر الحرية شرطا أساسيا للإبداع، ولكن هذا التعارض يفرضه اختلاف مفهوم الحرية بين الاديان والثقافات، ويفرضه أيضا مفهوم الإبداع الفني وحقيقته، فالحرية ليست عدم الخضوع لكل قيد في جميع الاديان والثقافات

وقد ذكر (جابلي، ع، 2017، 14)أنه في كثير من المرات تم المس بالمقدس الديني من خلال اعمال تحاول أن تكون عملا إبداعيا، كما حدث في حدث في مجلة "شارلي إيبدو "الساخرة في فرنسا مطلع عام 2015، والرسومات الدنماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم عام 2004، والفيلم السنيمائي للمخرج الهولندي "ثيوفان غوغ" بعنوان الخضوع، المسيء للدين الإسلامي أيضا، وفيلم "آلام المسيح " للمخرج الاسترالي "ميل غيبسون " الذي أثار غضبا في الاوساط اليهودية، بسبب مبالغة دور اليهود في محاكة المسيح وإعدامه، وقبلها كثير من هاته القضايا، وخاصة في مجال الإبداع العلمي.

إن مختلف هاته الاعمال، لا يمكن أن تكون عملا فنيا إبداعيا، ذلك أنها تتنافى مع حقيقة العمل الفني وغايته، إن حقيقة العمل الفني هي محاولة كشف الحقيقة في أكمل صورة لها،

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

كما يوضحه مارتن هايدغر في كتابه "أصل العمل الفني "، إذ يعتبر الفن أحد الصور للوصول الى الحقيقة، يقول مارتن هايدغر: "لقد تحددت حقيقة العمل الفني على أساس ذلك الذي يعمل عمله في الفن، أي حدوث الحقيقة " (هايدغر، م 2003، 122) .

لذلك فإن الحديث عن مختلف الإبداع ات التي تمس بالأديان، بحجة الحرية في العمل الإبداع ي، لم تكن إلا مدعاة للتعصب والفتنة بين الشعوب، ذلك أنها غفلت عن الغاية الاساسية للعمل الفني أو العمل الإبداع ي وهو كشف الحقيقة في أكمل صورها، وخاصة مثلما يحدث في الإبداع ات العلمية، فالفنان أو المبدع الذي يرسم لنا صورة لشخص ما، فإنه يحاول قدر المستطاع أن يوصل لنا حقيقة ذلك الشخص، وحتى حقيقته غير الظاهرة من حالات نفسية واجتماعية.

ومن خلال هذا يمكن القول إن العلاقة بين الإبداع والدين ليست علاقة تناقض وأن الدين لا يرفض الإبداع ، فمختلف الاديان تدعو الى التفكر والتدبر وتطوير الذات، من أجل حياة أفضل. إن إشكالية الواقعة بين الدين والإبداع هي إشكالية مفاهيمية بالأساس، فلا يمكن بأي حال اعتبار الإبداع تجاوزا للمقدسات الدينية باسم الحرية، حينما نفهم معنى الحرية بأنها ليست التحرر من كل قيد، ونتجاوز هذا الطرح المطلق، وهو ما يؤكده عزمي بشارة في كتابه مقال، حيث يرى بأن الحرية هي قيمة في حد ذاتها وهي شرط للأخلاق، و"أنها أرادة واعية لوجود خيارات وقدرتها على الاختيار " (بشارة، ع، 2016، 7)، وكذلك حينما نفهم غاية الإبداع بأنها محاولة إيصال حقيقة الشيء على أكمل صورة ممكنة.

لكن هناك ما يسمى بالزحف غير المقدس على الدين وتأميمه من طرف الدولة من خلال تسييس الدين (عبد الفتاح، س، 2016، 40)، أي محاولة جعل الدين خادما للنظام السياسي، وهو الامر الذي يعتبر عائقا للعمل الإبداع ي في حال كان هذا الإبداع يتنافى مع متطلبات السياسة وذلك باسم انتهاك المقدس الديني.

3.سؤال الحرية والابداع: إن علاقة الإبداع بالحرية يمكن أن تكون إما:

-علاقة شرطية تلزم ضرورة الحرية لإمكانية الإبداع

-أو تكون علاقة غير ضرورية، تمّكن للإبداع أن يقوم دون شرط الحرية

-أو تكون علاقة تناقض، وجود أحدهما يغيب الآخر بالضرورة

-أو تكون علاقة شرطية تلازمية، وجود الحرية يلزم وجود الإبداع .

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

إن الاعتبارين الاخيرين من الامكانات للعلاقة بين الإبداع والحرية، يرفضهما الواقع، فليس كل حر مبدع، وليس كل مقيد ليس مبدعا، لذلك فإن موضوع النقاش سيكون حول الإمكانيتين الأولى والثانية.

1.3 الحرية كشرط للإبداع:

إن العملية الإبداعية في حقيقتها هي محاولة تحرر من واقع معين وتجاوزه الى واقع أفضل، والعمل الإبداع ي من خصائصه أن يكون متميزا ومتفردا وأصيلا، لذلك فإن مفهوم الحرية في علاقتها بالإبداع إنما هو متضمن في العملية الإبداعية في حد ذاتها، "إن الإبداع هو فعل ذاته، الذي يتجسد في علاقة بين الانسان والوسائط التي "يفعل "من خلالها، والحرية بهذا المعنى شرط "أولي" للإبداع، كما أن شرط لكي تصبح أفعالنا ذات طابع حر" (محمد، ر، 1992، 23).

إنه لابد للمبدع من وجود الحرية –الحرية بالمعنى الذي أشرنا إليه سابقا- حتى تتم العملية الإبداعية، فعلى مدى تاريخ الانسان نجد ذلك الصراع القائم بين الانسان وما يحيط به في بيئته، ومحاولة التحرر من شتى القيود. وخير دليل على ذلك روح الفكر في القرون الوسطى في الفكر الغربي، حيث يتلخص جل اهتمامات الانسان أنداك في محاولته التحرر من سلطة الدولة والكنيسة، التي حدّت من كل أشكال السلوك اليومي للإنسان وتدخلت في الفن ونتائج العلم (الأهواني، أ، 1959، 58)، فنجد أن مختلف الإبداع ات أنذالك قوبلت بالقمع، بحجة الخروج عن سلطة الدولة والكنيسة .

لذلك يمكننا القول إن الحرية شرط للإبداع، لكنها ليست شرطا تلازميا تقضي وجود الإبداع كلما توفرت الحرية، كما أن الإبداع أيضا شرط من شروط الحرية، فكل ما وصل إليه الانسان من تطور حضاري وحرية اجتماعية، إنما هو نتيجة لإبداعات ساهمت في قفزات نوعية في سبيل تطور الانسان وحريته، إن الإبداع في حد ذاته حرية وتحقيق للذات الانسانية، "إن الإبداع هو بالضرورة فعل الحرية "(مهوب، م، 2017، 40)

2.3 معوقات الإبداع :

بما أننا تحدثنا عن الحرية في الإبداع ، فإن ذلك يوحي بوجود معوقات تؤثر على المبدع وسير العملية الإبداعية:

-العوائق الثقافية: كما أشرنا سابقا فإن الثقافة قد تكون عائقا للإبداع، وخاصة تلك الثقافات التي لا تشجع الإبداع الفردي وتظل منغلقة على ذاتها وخاضعة للسلطة، فمثلا كان الصينيون من في العصور الوسطى من أكثر شعوب العالم ابداعا، إلا أن ابداعاتهم لم تكن تحدث تلك القفزة النوعية في حياة الفرد، ذلك أن الثقافة الصينية أنداك كانت ثقافة

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

جماعية خاضعة للسلطة والبيروقراطية، فلم يكن لدى الفرد أي دافع تحسين وضعه وهو ما يسمى بالجماعية في الثقافة (رنكو، م، 2011، 257)

لذلك فإن هذا النوع من الثقافات يعتبر عائقا مباشرا للإبداع، وخاصة وأنه يدعو الى النمطية، وعدم الخروج عن ثقافة الجماعة، وهو ما يخالف روح الإبداع من حرية ويحد من أفقه.

يعتبر مالك بن نبي (ابن نبي، م، 1984، 97)أن الثقافات المنغلقة على ذاتها، والتي ترفض الآخر مهما كان طبيعته، من بين أكثر العقبات التي تحد من نشاط الإبداع أيضا، حيث تصبح كل محاولة للإبداع خروجا عن النمط السائد في تلك الثقافة، لذلك يرى بعض المؤرخين أن نهضة أوروبا في القرن السادس عشر، كانت نتيجة التفاعل بين الثقافة الاسلامية والعالم المسيحي .

-**العوائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية:** لا بد للإبداع من بيئة ينشئ فيها، حيث يتأثر المبدع بكل ما يحيط به من مجتمع وسياسة واقتصاد، فقد برهن التاريخ الثقافي للمجتمعات المتطورة، " أنه لا مستقبل للثقافة ولا دور لها في دفع عملية التحديث بدون أن يعيش المجتمع تغييرا اجتماعيا عميقا "(المختار ولد السعد، م 2006، 27).

إن المبدع ينشد من مجتمعه الحرية في أن يحقق ذاته، فالحديث مثلا عن الثورة الكوبرنيكية، هو من وجهة نظر معينة حديث عن حرية فكر أنداك، حيث كان الكل كان يعتقد بمركزية الارض إلا أنه خالف ذلك وتمسك برأيه حول مركزية الشمس ودوران الارض حولها، وفي المقابل قوبل "غاليلو" بالرفض، لأن المجتمع لم يمنحه الحرية فيما كان يعتقد، غاليلو وغيره من المبدعين الذين قوبلوا بالرفض (محمد، ر 1992، 19).

ثم إن السياسة وما تنتجه من واقع اقتصادي يعتبر عائقا للإبداع، حيث غالبا ما تعمل السلطة على ثبات النظم الاجتماعية لإبقاء السيطرة عليها، فترفض كل إبداع من شأنه المساس بالسلطة، أي أن النظام السياسي غالبا ما يحاول أن يحد من سقف الفكر ويحتويه وفقا لما يخدم مصالحه، (محمد، ر، 1992، 23) .

- **النتائج:** من خلال هذا البحث توصلنا الى مجموعة من النتائج:

- تشترك مختلف المفاهيم حول الإبداع في أنه يكمن في تلك القدرات الذاتية للمبدع، والتي تتأثر بالجوانب النفسية والاجتماعية التي تحيط بالمبدع، وأنه القدرة على تركيب عناصر موجودة من قبل على نحو جديد متميز ومتفرد وأصيل

- يتقاطع الإبداع مع مجموعة من المحاور الكبرى، والتي تمثل روح العصر

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

- للثقافة السائدة في مجتمع معين تأثير مباشر على الإبداع ، فكلما كانت الثقافات أكثر انفتاحا على غيرها وأكثر تنوعا كان الإبداع أكثر تنوعا والعكس من ذلك صحيح

- تعتبر الثقافات التي تنادي بالحرية من أكثر الثقافات إبداعا .

- إن الثقافات الخاضعة للسلطة السياسية والأيديولوجية، تؤثر بشكل مباشر على مسار الإبداع .

- يلتقي الإبداع مع الحداثة في أن كلاهما يعتبر تمردا وانفلاتا من الواقع المعيش، ومحاولة تجاوزه نحو الأفضل .

- يهدف الإبداع للوصول الى أكمل صورة للحقيقة، في حين تسعى الحداثة الى مبدأ الشمولية الذي تضمحل فيه مختلف الثقافات والسياسات .

- إن الاخذ بمفهوم الدين البسيط يوحي بأنه يعتبر عائقا في سبيل الإبداع ، لكن هذا راجع الى المفهوم الخاطئ للحرية .

-كل الديانات تدعو الى الرقي الحضاري وتطوير الانسان، حيث يعتبر الإبداع أحد الوسائل للتطور والرقي .

-كل الإبداع ات التي مست الدين، لا يمكن أن تكون إبداعا، ذلك أنها تتعارض مع حقيقة الإبداع ، التي تحاول أن تصل الى أكمل وجه للحقيقة .

-الحرية شرط للإبداع، لكنها ليست شرطا ملازما، أي أنه ليس كلما توفرت الحرية توفر الإبداع .

- الإبداع عملية تحرر أيضا، من حيث أنه محاولة لتجاوز الواقع المعاش.

-يعتبر الإبداع شرطا من شروط الحرية أيضا، فكل إبداع إنما هو تعبير عن حرية فردية .

- لا يمكن أن تكون الحرية بالمفهوم المطلق، شرطا للإبداع، لأن المفهوم الحقيقي للحرية يكمن في احترام حقوق الآخرين .

- للإبداع مجموعة من العوائق الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تؤثر على المبدع .

- مناقشة النتائج:

- بالرغم من المحاولات العديدة لتحديد مفهوم الإبداع ، إلا أنه لم يتم التوصل الى مفهوم جامع مانع، فكثير من الإبداع ات لم يتوصل الى تفسير لها.

- صحيح أن الثقافات تؤثر على الإبداع ، لكن لا يمكن أن تكون مبررا حول اختلاف الإبداع من ثقافة الى ثقافة أخرى، فالإبداع يعتبر أيضا محاولة للتحرر من القيود، والخروج من النمط

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

السائد، ومحاولة إعطاء الصورة على أكمل وجه، كما أنه لا يمكننا أن نقارن ثقافة بأخرى وذلك بالنظر الى المكتسبات التاريخية والاجتماعية لكل ثقافة.

- يلتقي الإبداع مع الحدثة في فعلي التجاوز والتمرد على الواقع، لكن فقط حينما نأخذ المفهوم المثالي للحداثة، كمحاولة للوصول الى عالم واحد تضمحل فيه كل الخلافات، في حين أن الحداثة في الواقع ماهي إلا مصطلح، تستعمله الدول القوية لبسط سيطرتها، والحفاظ على نفوذها .

- لا يوجد تعارض بين الإبداع والدين، وكل ابداع تجاوز الدين باسم الحرية، إنما هو راجع لسوء فهم المعنى الحقيقي للحرية، والهدف الحقيقي للإبداع .

- الحرية شرط للإبداع، كما أن الإبداع نوع من الحرية، لكن الإبداع هو سعي نحو التحرر من مختلف القيود، ومحاولة تجاوز الواقع .

- بالرغم من وجود مجموعة من العوائق للإبداع، إلا أنه لا يمكن أن تكون مبررا للحد من أفق الإبداع ، ففي كثير من المرات كان الإبداع وليدة الأزمة ومحاولة تجاوزها .

***-خاتمة:**

من خلال هذا البحث يمكن أن نصل الى مفهوم تقريبي للإبداع، بأنه ذلك الكل المركب من الجوانب الذاتية والوراثية والاجتماعية للفرد، الذي يوصلنا الى تركيب عناصر موجدة سابقا، تركيبا على نحو جديد وفريد وأصيل .

يفرض **الإبداع** نفسه حتمية إنسانية، من أجل رقي الانسان وإثبات حريته وذاته كوجود إنساني، ولكن في الكثير من المراحل التاريخية أصبح الإبداع مدعاة للتناحر، وخاصة حينما يرتبط مفهوم الإبداع بالحرية والمقدس، حيث أصبح الإبداع مبررا للمساس بالمقدسات باسم الحرية، لكن هذ التجاوز يرجع في أساسه الى عدم الفهم الصحيح لكل من الإبداع والحرية، حيث الإبداع في أصله هو أحد طرق الوصول الى الحقيقة في أكمل صورة لها، وليس فقط كل عمل يتميز بالأصالة والتميز، ثم إن مفهوم الحرية لا يجب أخذه بالمعنى المطلق، بل الحرية هي حرية كل فرد داخل أطر مجتمعه، وبهذا لا يمكن أن نسمي أي عمل متميز وأصيل إبداعا إلا إذا كان يهدف الى الوصول الى الحقيقة، وكل الإبداع ات التي أثارت الجدل كانت عبارة عن تجاوزات للمقدس، وتشويه لحقيقته .

إن الإبداع هو عملية تحرر، وانفلات من الواقع المعاش ومحاولة تجاوزه الى واقع أفضل، فغالبا ما كان الإبداع وليد الازمة، ومحاولة تجاوزها الى واقع أفضل، ففي واقعنا العربي مثلا لا يمكن أن نلوم الثقافة أو الدين في محدودية العمل الإبداع ي، بل إن الواقع السياسي، وعدم

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

الاستقرار الامني والايديولوجي هو السبب الرئيسي في هاته المحدودية للإبداع، وبالرغم من ذلك فإن هذا لا يعتبر مبررا، لأن الإبداع هو عملية تحرر أيضا.

*****

- المصادروالمراجع

1. أحمد فؤاد الأهواني. (1959). جون ديوي. القاهرة: دار المعارف.

2. الكسندر روشكا. (1998). الإبداع العام والخاص. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

3. أندريه لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. بيروت، باريس: منشورات عويدات.

4. جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي الجزء الأول. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

5. رمضان بسطاويس محمد. (1992). الحرية والأدب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

6. سيف الدين عبد الفتاح. (2016). الزحف غير المقدس للدين، تأميم الدولة للدين. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر .

7. طه عبد الرحمن. (2006). روح الحداثة المدخل الى تأسيس الحداثة الإسلامية. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

8. عبد العالي الجسماني. (1995). سيكولوجية الإبداع في الحياة. لبنان: الدار العربية للعلوم.

9. عزمي بشارة. (2016). مقالة في الحرية. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

10. على عقله عرسان. (1992). الثقافة والإبداع. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة الثقافة.

11. عيسى جابلي. (2017). الإبداع ...جموح الحرية وضوابط المقدس. الرباط، المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

12. مارتن هايدغر. (2003). أصل العمل الفني. كولونيا، ألمانيا: منشورات الجمل.

13. مارك رنكو. (2011). الإبداع نظرياته وموضوعاته، البحث، والتطور، والممارسة. المملكة العربية السعودية: العبيكان للأبحاث والتطوير.

14. مالك بن نبي. (1984). مشكلة الثقافة. دمشق: دار الفكر.

15. محمد المختار ولد السعد. (2006). عوائق الإبداع في الثقافة العربية بين الموروث الآسر وتحديات العولمة. أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

16. محمد آيت مهوب. (2017). الإبداع ...جموح الحرية وضوابط المقدس. الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.